جامعة غليزان
كلية الآداب و اللغات
محاضرة: خطابات نقد النقد
ماستر2 أدب جزائري

المراجع: الفصل الأول من كتاب نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر ، محمد الدغومي ، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء كلية الآداب و العلوم الانسانية ، الرباط ،ط1 ، 1999.
الفصل الأول: متن نقد النقد و التنظير ص ص(61-88)

يمكننا الحديث عن نقد النقد من خلال أربعة خطابات هي:

1-خطاب التعليم
2-خطاب التأريخ
3-خطاب التحقيق
4-خطاب التنظير

و هي خطابات في الواقع النقدي العربي ليس بينها حدود قاطعة و صارمة؛ بحيث نجد تداخلات و تقاطعات بحكم أن المعرفة النقدية تقتضي تنويع الاجراءات و المقاصد، هذا ليس غريبا أن يؤلف خطاب بقصد تأريخ النقد، ثم لجعله أداة تعليمية و ليس غريبا كذلك أن خطاب التنظير يعتمد التأريخ والتحقيق أحيانا، كما أنه ليس غريبا أن خطاب التعليم يطمح إلى إظهار قدرته التنظيرية. لذلك الفصل بين الخطابات المذكورة ليس فصلا قاطعا بل هو فصل إجرائي، و قد صاغ محمد الدغومي أمثلة لمصنفات نقدية تعددت فيها خطابات نقد النقد من ذلك:

-سوسيولوجيا النقد العربي الحديث، غالي شكري: التأريخ و التنظير
-تاريخ النقد العربي، إحسان عباس: التأريخ و التحقيق
-النقد الأدبي الحديث، أحمد كمال زكي: التعليم التنظير
-النظرية النقدية العربي، هند حسين طه: التأريخ التحقيق التنظير

1.خطاب التعليم:

خطاب معرفي حامل لمعرفة مؤكدة يتوجب تعليمها وإقرارها في صورة مسلمات ومعلومات وحقائق وباعتماد آليات العرض والشرح والتأريخ و التصنيف، مما يجعله خطابا فقيرا من جهة التنظير و مكتفيا عادة بانتاج معرفة سابقة خدمة للمجال الثقافي و الايديولوجي: أي تكرار قيم و مواقف نقدية جاهزة و معروفة.

و النقد بصفته موضوعا في هذا المتن يستمد عناصره من كونه:

-معرفة مقررة و مسلما بأهميتها و دورها/مهارة ينبغي امتلاكها/معرفة و مهارة ذات فائدة لتخصص الطالب و للحياة الادبية عامة/موضوع خبرة و علم للمؤلف.

من أهدافه العامة:

تعريف الادب: امتلاك المعرفة بالنقد ليصبح ذا ثقافة وقدرة على مسايرة تخصص الأدب.

تعريف النقد: امتلاك مهارة بالنقد ليكون ناقدا على وعي –مشروع ناقد-

التكوين العام: امتلاك ثقافة عامة تقتضي معرفة النقد.

و هكذا فإن الاستراتيجية الكبرى في هذا المتن تبدو واضحة بحيث تهدف إلى خدمة الطلاب قبل خدمة النقد.

يمتاز هذا الخطاب بالنزعة الموسوعية للخوض في قضايا الادب التي هي موضوع النقد(معالجة الادب من حيث حقيقته عناصره أنواعه و المذاهب الادبية ...)

إن خطاب التعليم لا يستطيع ان يرتقي إلى مستوى خطاب التنظير و لا إلى درجة الخطاب المحقق ما دام القصد هو فهم ما هو موجود وتقديمه بصورة مناسبة لحاجة القارئ.

إن هذا الخطاب كما يقول الدغومي : محكوم باستراتيجية واضحة هي إفادة المتعلم بشتى الوسائل المتاحة باعتماد التلخيص والانتقاء و التمثيل، و باعتماد التأريخ و التصنيف و التبويب و ركوب مطية الشرح و التقريب و التعريف...(ص66).

2-خطاب التأريخ:

يقول الدغومي: إن المتن الذي سميناه خطاب التأريخ يضم حصيلة من الخطابات التي تعاملت مع النقد بما هو افكار و إنتاج أو وقائع مرتبة بحسب منطق توالي الزمن و أرادت أن تفهم أو تنظم هذا النقد بحسب ذلك المنطق...فإن الزعم الذي يحركها لم يخرج بها عن حدود التأريخ، خصوصا عندما نجدها تعمد إلى (التحقيب) الزمني و تفير المادة النقدية بالأحداث العامة السياسية و الاجتماعية.ص68.

و المنهج السائد فيها هو المنهج التاريخي، وأن التأريخ يملأ هذا المتن بما يوفره من مادة تضع النقد في سياق الاحداث و الوقائع و الظروف السياسية و الاجتماعية و المعلومات البيوغرافية الخاصة بحياة الادباء و النقاد.

و مما يؤكد هيمنة التأريخ هنا أن تأريخ النقد لم يتجاوز التحقيب التاريخي:

-تحقيب حسب العصور: الجاهلي الاسلامي ...

-تحقيب حسب القرون: القرن الاول الثاني ...

-تحقيب بحسب المراحل:قبل و بعد..

-تحقيب حسب حياة النقاد و تعاقبهم: الرواد المعاصرين القدامى

-تحقيب بحسب القضايا و النظريات و المناهج(تصنيف)

-تحقيب مركب يوفق بين أكثر من تحقيب سابق

3-خطاب التحقيق:

يلتبس هذا الخطاب عادة بخطاب التأريخ، حيث ينكب على أعمال نقدية سابقة و يعمل على دراستها بصفتها مرحلة نقدية منتهية محددة بزمان و مكان، و أحيانا يلتبس بخطاب التنظير حين يطمح إلى أهداف مثل تجديد النظرة إلى النقد الأدبي أو اكتشاف مبادئ لخدمة النقد العربي الحديث.

إن هذا الخطاب كما يرى الدغومي هو (فعل) لا يؤرخ للنقد و لا ينظر له و إنما هو فعل تحقيق، هدفه الوصول إلى فهم يغاير كل فهم سابق للموضوعات و النصوص النقدية ، مستعينا في ذلك بآليات التحقيق المعروفة، و بهذا يتميز عن غيره بخاصية تجعله أكثر تمثيلا لنقد النقد، ألا و هي البعد الابيستيمولوجي (مواجهة النقد باختيار استراتيجية كبرى: مذهبا نقديا أو فلسفة أو منهجا أو نظرية أو فرضية).

إن منطق خطابات التحقيق هو منطق التساؤل عن وضع الموضوع لغاية إعطاء صورة أخرى له، أنتجتها عمليات الفحص و التحليل و المقارنة و التنظيم و إعادة التركيب، بحيث يتحقق منطق هذا الخطاب بصفته عملية انتقال من وصف وضع إلى إظهار ما ينبغي أن يظهر، أو من صورة مألوفة إلى صورة جديدة غير مألوفة، فهو خطاب إكتشاف أو استقراء او بمصطلح اكثر حداثة: خطاب قراءة.

كما أنه يتضمن بعدا سجاليا*، و لئن كانت بعض ظواهر السجال تظل ظواهر انتقاد و انتقاص و معارضة و رفض فقط، فإن السجال الذي يفرض وجوده بالضرورة في خطاب التحقيق سجال مؤسس، و يترجم وعيا ابستيمولوجيا قادرا على إنتاج معرفة بديلة تخدم المنهج و النقد معا.

إن البعد السجالي في خطاب التحقيق كما ينظم آليات الخطاب و يرسم له برنامجا في شكل حركة انتقال بين حالة أولية و اخرى مكتشفة اي من حالة 1 إلى حالة 2:

من حالة1	إلى حالة2
تبعثر	تنظيم
ما قبل النظرية	نظرية جاهزة
عدم تقدير	تقدير
إلتباس	وضوح
خطأ	حقيقة
حقيقة	خطأ....

(الدغومي،ص77)

نستطيع أن نقول إن أول منجزات التحقيق في مجال نقد النقد ظهرت في الربع الاول من هذا القرن، وخاصة بظهور كتاب(في الشعر الجاهلي1927)،(في الادب

*-سجال منافسة بين طرفين ، كانت الحرب سجالا أي لا غالب و لا مغلوب لتعادل القوة بينهما

الجاهلي)، حين انطلق من مناقشة وضع الدراسة الادبية و قرر اللجوء إلى منهجية عقلانية في التعامل مع الأقوال الادبية و النقدية.

و انطلاقا من منطق فعل التثاقف* الذي اشار إليه الدغومي صارت الدراسة الأدبية تضع النقد و البلاغة وضع المقارنة مع المرجع اليوناني و الغربي ، أو حين صارت تعبر عن الوعي بالنقد بناءً من معرفة بالنقد الأوربي.أي مراجعة النقد السابق في ضوء ما توفر لدى أصحابها من معرفة فلسفية أو نفسية أو جمالية فتشكلت لدينا قراءات للنقد لها صفة مرجعية (قراءة نفسية-جمالية-سوسيولوجية-لسانية...).

و يشير الدغومي إلى كتابين(النقد المنهجي عند العرب1948) لمحمد مندور،(ثقافة الناقد الأدبي1949) لمحمد النويهي كأصدق صورة لهذا الوعي الذي يختبر النقد و المعرفة الادبية في ضوء مناهج و نظريات لتصحيح صورة النقد السابق و صورة النقد كما ينبغي ان يمارس.(الدغومي، ص78).

أصناف خطاب التحقيق: على الرغم من قلته صنفه الدغومي إلى أربعة أصناف

أ-صنف يحقق في المفاهيم و يبحث عن حركتها في المعرفة الادبية و النقدية مثل(الشر-الصورة الشعرية-الصورة الفنية-المحاكاة-الناقد-الأدبية-النص).

ب-صنف يحقق في النظرية و يستهدف الوصول غلى هذه النظرية(نظرية النظم-نظرية عمود الشعر..).

ج-صنف ينظر إلى المنهج و استقصاء الاجراءات و الاساليب المستعملة في معالجة الأدب و الادوات الي وظفت في هذه المعالجة.

د-صنف القراءة، رؤية الناقد للأدب و يمثل درجة راقية من التحقيق.

فخطاب التحقيق قد يوهم بأنه خطاب تاريخي إلا أنه لي كذلك إنه يعي علاقته بالتاريخ و يستحضره بصفته خلفية لاظهار الصورة المراد اكتشافها، و إن عمد إلى ترديد تصورات نظرية توهم بأنه خطاب تنظير لكنه ليس كذلك و إن إقتحمت أصنافه مجال التنظير من خلال:

-الاسهام في وضع نظرية حديثة للنقد العربي المعاصر

-تأسيس نظرية عربية (نظرية النقد العربي: محي الدين صبحي)

-دعم الوعي النقدي و إقامته على أساس نظري و عملي معا.(النظرية النقدية العربية هند حسين طه)

-مجادلة الواقع النقدي و تصحيحه.(نبيل سليمان: النقد الأدبي في سوريا)

4.خطاب التنظير:

*-التثاقف من المثاقفة و التلاقح الثقافي (acculturation) اقتباس بعض السمات الثقافية، أو الأنماط الاجتماعية من ثقافة أخرى، وعادة ما يحدث هذا بعد لقاء بين الثقافات المختلفة.

نستخلص مما سبق أن هناك مادة نظرية تعرض(تعليم)، تناقش (تحقيق)، يؤرخ لها (تأريخ)، و هناك رغبات تعبر عن نوازع البحث والتجديد ولو بإعادة النظر في النقد السابق لإنارة الطريق أمام النقد الممكن، وهذه المادة النظرية يمكن اعتبارها نقطة إلتقاء جميع المتون السابقة مع متن آخر هو متن التنظير.

و أشار الناقد محمد الدغومي إلى كتابات نقاد كبار أمثال طه حسين و عباس محمود العقاد، وميخائيل نعيمة، فهم فكروا حقا في الأدب والنقد لكنهم لم يستطيعوا أن يستقروا في تفكيرهم على نهج واحد وما يطبع نقدهم من نزعة مصالحة بين مرجعيات قديمة وحديثة عربية وغربية و من أفكار تنتمي إلى حقول منهجية و فلسفية مختلفة.

و بالرغم من وجود هذا الوهم التنظيري كما نعته الدغومي فإن خطاب التنظير موجود بمستويات مختلفة و اشار إلى ثلاثة عناصر و هي:

أ/التأسيس استراتيجية التأسيس لنقد جديد و لنظرية عربية جديدة أو لمنهج عربي خالص بغرض:

ب/الفهم كخطوة من خطوات التأسيس، مراجعة واقع النقد ممارسة و تصورا و الدخول معه في حوار (أسلوب الفهم طريقة التناول)، تصحيح الوقع النقدي السائد و كشف نواقصه عن وعي و إلا لما كان جديرا بأن يعتبر خطاب تنظير.

ج/التوفيق دعم النقد العربي تقويم النقد لإرجاعه لاصوله المنسية و تطعيم هذا النقد العربي الحديث بعناصر من النقد الغربي (الجمال علم النفس البنيوية)

إن هذا المتن الذي يطمح إلى التأسيس و الفهم و التوفيق في خطاب التنظير من غاياته:

-بناء نظرية و لو ادعاءً

-حل مشكلات نقدية أو أدبية

-تعديل مادة نظرية أو نقدية و تنظيمها لغاية اعادة اكتشافها و اقتراحها بصورة جديدة.

و يمكن وصف متن التنظير هذا كما يلي: إنه مجموع خطابات تريد أن تقدم معرفة بالنقد بأنها معرفة جديدة أما مجال اشتغاله قد يكون النقد العربي القديم و قد يكون النقد العربي الحديث؛ ففي المرحلة الأولى تنظير لمنهج القراءة، كيف نصنع جهازا لقراءة النقد؟ و في المرحلة الثانية و هي جديرة بالاهتمام: ما النقد الذي نريد؟ و ما المعرفة النقدية التي نريد أن نعتمدها لحل المشكلات الأدبية و النقدية؟

****